تزكية الإنســان فــي المنهج النبـــوي: قضـــايا ونماذج

د. عبد العزيز بوشعيب امحمد العســـراوي ــ عضو هيئة تدريس
بأكاديمية القرآن الكريم – طرابلس التابعة لمجمع القرآن الكريم – ليبيا.

Human recommendation in the prophetic approach:
issues and models

Research Summary:

The recommendation of a person is a basic function of the Prophet (; that God Almighty described it, and he said: (He has been among the believers, when he sent a messenger from themselves Pay and rule, and if they were before a clear delusion ((Al -Imran, 164 It aims to develop instincts, queens and capabilities for their physical, mental and spiritual promotion.

To accomplish this research; I defined in a prelude by acclamation, and I showed in the demand of the first areas of recommendation to man in short, and allocated the second demand for the means of recommendation and its foundations, and made the third requirement to talk about recommending the Prophet (the companions in the Qur'an, with the general features of the prophetic approach in the recommendation to make the hadiths narrated in the six books and other basic material In the explanation, analysis and conclusion, the research concluded with a conclusion in which I mentioned the most important results that it reached, pointing to the need to invest the sayings of the Prophet (and his actions at the present time systematically to promote the nation in the fields of education and calling to God Almighty, and the architecture of the earth so that it can perform its missionary role

الملخّـــص :

تُعـــد تزكية الإنسان وظيفةٌ أســـاسيةٌ من وظائف النبي -ﷺ- ؛ فقد وصف ذلك الله سبحانه، فقال: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ **(آل عمران، 164)**، واستهدف بها تنمية الغرائز والملكات والقدرات لترقيتهم جسميًا وعقليًا وروحيًا، ولإنجاز هذا البحث؛ عرّفت في التمهيد بالتزكية، وبينت في مطلب أول مجالات تزكية الإنسان باختصار، وخصصت المطلب الثاني لوسائل التزكية وأسسها، وجعلت المطلب الثالث للحديث عن تزكية النبي ﷺ الصحابة بالقرآن، مع استخلاص السمات العامة للمنهج النبوي في التزكية جاعلًا من الأحاديث المروية في

الكتب الستة وغيرها مادة أساسية في الشرح والتحليل والاستنتاج، وختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها، مشيرًا إلى ضرورة استثمار أقوال النبي ﷺ وأفعاله في الوقت الحاضر من الناحية المنهجية لترقية الأمة في مجالات التربية والتعليم والدعوة إلى الله – تعالى- ، وعمارة الأرض حتى تتمكن من أداء دورها الرسالي الاستخلافي.

المقدمـــة:

تعد تزكيـــة الإنسان لبنائه بناءً شاملًا يؤهله لأداء مهمة الاستخلاف وعمارة الأرض والريادة الحضارية وظيفة أساسية من وظائف النبي ﷺ؛ فقد منّ الله تعالى بها في كتابه فقال: **﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾** (آل عمران، 164)، فالتزكية وظيفة نبوية منّ بها الله تعالى على المؤمنين لترقيتهم عقليًا وروحيًا وجسميًا، وهي ضرب من ضروب التربية، استهدف بها تنمية الغرائز والملكات والقدرات الصالحة في المتلقين لها، وتنقيتهم وتطهيرهم من خبائث الاعتقادات والأقوال والأعمال الفاسدة، واتخذت عند النبي ﷺ أشكالًا مختلفة، ما بين التعليم ابتداءً وتبليغ الوحي بشقيه القرآن والسنة، وما بين توجيه السؤال وتلقيه من الصحابة، وضرب المثل، وغير ذلك من الوسائل التي أدّت هذا الغرض المذكور، لذا رأيت أن يكون عنوان الموضوع هو: "تزكية الإنسان في المنهج النبوي : قضايا ونماذج".

تســـاؤلات البحث:

- ما مجالات تزكية الإنسان؟
- ما وسائل التزكية التي اعتمدها النبي ﷺ لتزكية الصحابة.
- ما أسس التزكية التي اتبعها النبي ﷺ لتزكية الصحابة؟.
- ما الخطوات المنهجية لإقامة مجالس للقرآن الكريم.

أهداف البحث:

يهـدف هذا البحث إلى تجلية سمات المنهج النبوي في بناء الإنسان من خلال بيان مجالات تزكية النبي ﷺ للإنسان، والأسس التي انطلق منها في هذه التزكية التي طبقها على أصحابه، فأخرج منهم جيلًا قرآنيًا فريدًا، والوسائل التي اعتمدها قصد تحقيق التزكية، لتأهيل الإنسان كي يستخلف في الأرض، مسخرًا ما سُخِّر له دون إفساد، مع

التركيز أخيرًا على التزكية بالقرآن الكريم خاصة، لبيان كيف بلغ النبي ﷺ هذا الكتاب إلى جيل الصحب الكرام، مع استخلاص بعض شروط الانتفاع بالكتاب، والدعوة إلى تأسيس مجالس للقرآن الكريم، ومجالس للحديث النبوي لبناء الأمة من جديد.

أهمية البحث:

يكتســي هــذا البحث أهميته انطلاقًا من الكشف عن السّمات العامة للمنهج النبوي في تزكية الإنسان، من حيث شمولها مجالات التزكية الثلاث، الجسمية والعقلية والروحية، وأهمية الاقتداء بالنبي ﷺ، والاستفادة من هذا المنهج في تزكية المتعلمين اليوم، من خلال الكشف عن أسس التزكية ووسائلها، وشروط التزكية بالقرآن، وغير ذلك.

منهج البحث :

استعان الباحث بالمنهج الاستقرائي الناقص، قصد تلمس منهج التزكية عند النبي ﷺ، لاستخلاص السمات العامة، موظفًا -في الوقت نفسه- المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي، لاستنتاج ما يمكن استخلاصه من النصوص التي اعتُمِدت شواهد لبيان سمات المنهج النبوي في التزكية.

هيكلية البحث:

لإنجاز هذا البحث؛ رأيت أن أعرف في تمهيد بالتزكية، وأُبيّن مجالاتها باختصار، مع الإشارة إلى وسائلها وأسسها، وقسمته إلى ثلاثة مطالب؛ بحثت في الأول مجالات تزكية الإنسان جسميًا وعقليًا وروحيًا، وبحثت في الثاني أسس تزكية النبي ﷺ ووسائلها. وتطرقت ثالثًا إلى تزكية النبي ﷺ الصحابة بالقرآن الكريم، مع الإشارة إلى ضرورة تنظيم مجالس للقرآن والحديث، جاعلًا من الأحاديث المروية في الكتب الستة وغيرها من مصادر الحديث، مادة أساسية في الشرح والتحليل والاستنتاج، مستخدمًا بعض شروح الحديث، وختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، مشيرًا إلى ضرورة استثمار أقوال النبي ﷺ وأفعاله في الوقت الحاضر من الناحية المنهجية لترقية الأمة، والعودة بها إلى دورها الريادي من جديد في مجالات التربية والتعليم والدعوة إلى الله تعالى، وأردفت البحث بقائمة للمصادر والمراجع.

الدّراســـات السابقة:

وجدت مجموعـــة من الدّراسات بعضها مطبوع، وأغلبها على مواقع الشبكة، يتحدّث أصحابها عن تزكية النبي- ﷺ- ، أغلبها مختصر، لا يفي بالغرض المطلوب، وأهمها ما يأتي :

- وقفات مع بعض الأساليب النّبوية في التربية والتعليم : إبراهيم بن صالح الدحيم، https://www.assakina.com/studies/18134.html.

- من أساليب النبي ﷺ التربوية : محمد بن عبد الله الدويش، https://islamhouse.com/ar.

- العقل في السنة النبوية : دراسة تحليلية تربوية: إسماعيل سعيد رضوان، وعليان عبد الله والحولي[1] ، وهو بحث جيد، استفدت منه بعض النصوص الحديثية التي تنص على العقل.

- مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم: عبد الرحمن عبد الحميد أحمد البر: وهي دراسة مهمة في بابها، تطرق فيها الكاتب إلى آداب الصحابة في التعلم والتلقي عن رسول الله ﷺ، استفاد منها الباحث، في باب السؤال في العلم.

تمهيد:

التزكية لغة : قال ابن الأثير: "وأصل الزكاة في اللُّغة: الطَّهارةُ، والنَّماءُ، والبركَةُ، والمدحُ، وكُلُّ ذلك قد استُعْمل في القُرآن والحديث، ووزنها فَعَلَة كالصَّدقَة، فلما تحرَّكت الواو وانْفتَح ما قبلها انقلبَتْ أَلِفًا، وهي من الأسماء المُشْتركة بين المُخْرَج والفِعْل، فُتطلَق على العَين، وهي الطَّائفَة من المال المُزَكَّى بها وعلى المَعنى وهو التَّزكِية"[2] ، ومن معانيها الصلاح، ومنه قوله - تعالى- : ﴿ **خَيْراً مِّنْهُ زَكَـــوةً وَأَقْرَبَ رُحْماً**﴾[3]

التزكية اصطلاحًا: أما التزكية اصطلاحًا؛ فهي تطهير النفس بترك السيئات، وفعل الحسنات الموجبة لزكاة النفس، فالتزكية شاملة للاعتقاد والعبادات والأخلاق، ويقع هذا التطهير على النفس فينقيها من الدنس والعصيان، وينميها بما يحليها من أمور مشروعة، حتى تترقى في مدارج الإيمان، ويقع على العقل، فيحميه من الانزلاق في متاهات التفكير الخرافي، ويقع على مختلف أنشطة الإنسان ليستقيم أمره، ويهدى إلى رشده في جميع سلوكاته[4]

المطلب الأول- مجالات تزكيـــــــة الإنسان:

أولًا- تزكية الإنسان جسميًا : وظف النبي ﷺ عدة وسائل لتزكية الإنسان من هذه الناحية، وبعض هذه الوسائل هي مقاصد شرعية كبرى، ومنهج عام في الشريعة، ذلك أن التعبد أساسه جسم سليم يقوى على العبادة، ومن ذلك حرصه على الاعتدال في العبادة حتى لا يرهق الإنسان نفسه بالتشدد والميل عن الوسطية، ومنه الصحابية التي كانت لا تنام الليل تناجي ربها، فكره النبي ﷺ ذلك، قائلًا: "**خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَسْأَمُ اللهُ حَتَّى تَسْـــأَمُوا**"[5] ، وقال لعبد الله بن عمرو: "**أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟ وَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ لَهُ الْعَيْنُ، وَنَفَثَتْ أَوْ نَفِهَتْ لَهُ النَّفْسُ**"[6] ، وقد ندم هذا الصحابي على تحميل نفسه أكثر من طاقتها حين كبر، وقد أخذ برخصة النبي ﷺ، التي حددها له في صيام داود عليه الصلاة والسلام.

ومن أدبيات النبي ﷺ في هذا المجال؛ الحفاظ على البيئة، ومنع قطع الأشجار، ذلك أن البيئة الصالحة هي المجال الذي يعيش فيه الإنسان، ومن ثم كان الأمر بالاقتصاد في الماء؛ فقد "مَرّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِسَعْدٍ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرَفُ؟ فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ"[7]، ونهى عن التعرض للعباد في الصوامع وللنساء والأطفال في الغزوات، ذلك أنهم لا يمثلون خطرًا، لذا يجب الحفاظ على أرواحهم، وربما يكونون حصنًا منيعًا للإسلام فيما بعد.

وألفت نظر القارئ إلى أحاديث الطب التي دوّنها المحدثون، وفيها يدعو النبي ﷺ إلى معالجة البدن من الأسقام التي تصيبه، وأذكر هنا -مثلًا- قوله ﷺ: "مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً"[8] ، وهو نص عام يؤسس قاعدة مفادها أن لكل سقم دواءً، وفي ذلك إشارة نبوية إلى ضرورة إعمال العقل؛ لاكتشاف الأدواء والأدوية، مما يشير إلى علم الطب الذي مهر فيه عدد من المسلمين تاريخيًا، ناهيك عن الأحاديث التي وردت في العلاج من أسقام بعينها؛ فقد أرشد النبي عليه الصلاة والسلام إلى التداوي بالحجامة، والعسل، وألبان الإبل، والحبة السوداء، وغيرها مما هو في كتاب الطب في الجامع الصحيح للبخاري، وغيره.

إلا أن ما يلفت الانتباه هو الربط العجيب بين القرآن والتداوي، وجعله علاجًا من أمراض قد تستعصي على الإنسان، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ"[9] ، وحديث أبي سعيد الخدري في علاج سيد القوم الملدوغ، وفيه: "فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ

وَيَثْقُلُ، فَبَرَأَ"(10) ، وأقره النبي ﷺ على ذلك، وهذا لا يؤمن به إلا من آمن بالوحي، لكن السؤال هو: كيف استجاب السم للفاتحة؟، والجواب أن الداء من خلق الله، والفاتحة كلام الله، فلما كلمه أبو سعيد بكلام الله، استجاب السم وانقاد لكلام مولاه وخالقه، فكل شيء مخلوق لله عبد لله كرهًا أو طوعًا.

وبالجملة؛ فحفظ النفس الذي يعنى به رعاية نفس الإنسان وحفظها من التلف يمثل أحد مقاصد الشريعة، لذا حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه جسديًا، مستمدًا أصول تلك التربية من القرآن الكريم، بحيث يؤدي الجسم وظيفته التي خلق لها من دون إسراف أو تقتير، ودون محاباة لطاقة من طاقاته على حساب طاقة أخرى. فالقرآن الكريم أرشد إلى ما أحله الله من الطيبات، وحث على اجتناب ما حرم الله من الخبائث، وأنكر على أولئك الذين يَحْرمون أبدانهم من تلبية حاجاتها على الوجه المشروع، فقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(11) ، ولا شك أن الإنسان عندما يلبى حاجاته البدنية؛ فبإمكانه أداء وظائفه التي كلفه الله بها في الدنيا من عبادة الله، واستخلافٍ في الأرض، وإعمار لها، وتعارف وتعاون مع بني جنسه على البر والتقوى.

ثانيًا- تزكية الإنسان عقليًا: من تأمل القرآن الكريم وجده مليئًا بالدعوة إلى التفكر والتأمل والتعقل والتدبر قصد إدراك الحقائق، ذلك أن الحضارة لا تبنى إلا باستخدام العقل، وهو منهج حرص النبي ﷺ على تطبيقه في أحاديثه قصد تنمية قدرات الإنسان المستخلف في الأرض، كي يكون قادرًا على أداء دوره وتسخير ما في الكون من مقدرات لصالحه.

ويهمني في هذه النقطة تتبع كلمة "عقل" في الحديث النبوي لمعرفة معاني تلك الأحاديث، كما يهمني تتبع بعض أساليب النبي ﷺ التي استعملها قصد دفع الإنسان المسلم إلى التفكير، سواء كان ذلك في الأمر بالمعروف أو في النهي عن المنكر، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

1- أحاديث نبوية في العقل وما في معناه: روى أبو سعيد الخدري، قال: "خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: ...مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ. قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟" قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟" قُلْنَ: بَلَى. قَالَ:

فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"[12] ، والحديث ينصّ على نقصان عقل المرأة، ويعلل نقصان عقلها بأنّ الشارع يعتبر شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل، وقد نصّ القرآن على ذلك؛ قال - تعالى- : ﴿**وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾[13] ، والضّلال هنا بمعنى النسيان "لما أنّ النسيان غالب على طبع النساء لكثرة الرطوبة في أمزجتهنّ"[14] ، "وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية، فإنّ وظيفة الأمومة العضويّة البيولوجيّة تستدعي مقابلًا نفسيًّا في المرأة حتمًا تستدعي أن تكون المرأة شديدة الاستجابة الوجدانيّة الانفعاليّة لتلبية مطالب طفلها بسرعة وحيويّة لا ترجع فيهما إلى التفكير البطيء، وذلك من فضل الله على المرأة وعلى الطفولة..."[15] ، فالنقص في عقل المرأة ناتج عن عوامل عاطفيّة خاصّة بالمرأة، وهو نقص ممدوح؛ لأنّه يتناسب مع وظيفة الأمومة التي من شأنها أن تربّي الرجال لمعترك النزال، فكل من الرجل والمرأة قد يصلح أحدهما في مجال لا يصلح له الآخر.

وروى أبو مسعود الأنصاري عَنْ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: "لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى"[16]. وأولو الأحلام والنهى هم العقلاء، وهذا مدح للعقل وأهله، قال النووي: "أولو الأحلام هم العقلاء، وقيل: البالغون، والنُّهى بضم النون: العقول، فعلى قول من يقول: أولو الأحلام العقلاء، يكون اللفظان بمعنى، ...وعلى الثاني معناه: البالغون العقلاء، قال أهل اللغة: واحدة النُّهى نُهية بضم النون، وهي العقل، ... وسمي العقل نُهية، لأنه ينتهي إلى ما أُمر به ولا يتجاوز، وقيل: لأنه ينهى عن القبائح..."[17]، وروى ابن عبّاس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ لأشجّ عبد القيس: "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ"[18]. والحلم يُطلق ويُراد به العقل، قال النووي: "أما الحلم فهو العقل، وأمّا الأناة فهي التثبّت وترك العجلة"[19]، ومقصود النبي ﷺ حث الإنسان على التعقل وترك العجلة.

وروى جابر بن عبد الله ﷺ، قال: "جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ لَا أَعْقِلُ، فَتَوَضَّأَ، وَصَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَعَقَلْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَنِ الْمِيرَاثُ؟ إِنَّمَا يَرِثُنِي كَلَالَةٌ. فَنَزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ"[20]. والعقل الوارد في الحديث يُقصد به الفهم، قال ابن حجر: "وله (لا أعقل)، أي: لا أفهم، وحذف مفعوله إشارة إلى عظم الحال، أي : لا أعقل شيئًا"[21].

وأرسل رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى قَوْمِ ماعز بن مالك الأسلمي، فَقَالَ: **"أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ، مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نُرَى، فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا بِعَقْلِهِ"**[22] ،ولذا أمر برجمه، فالرسول ﷺ أرسل إلى قوم ماعز يسألهم عن عقله: أبه بأس أم لا؛ لأنّ فاقد العقل غير مكلف، وقد جاء يخبر عن نفسه أنه ارتكب الفاحشة، وذلك مبعث شك، فلابد من حصول يقين أنه رجل عاقل، ليس به ما يدرأ الحد عنه، فلمّا أخبروه بأنه وفيّ العقل، ولا بأس به ولا بعقله، أمر برجمه. وهذا فيه ما فيه من الإشادة بالعقل وأنه مناط التكليف، وأنّ النبي ﷺ سأل عن عقل ماعز عدة مرات: أبه بأس أو لوثة؟ ولو أجابوه بالإثبات وأنّ بعقله شيئًا من ذلك لما أقام عليه الحد، فقلم التكليف ـ كما هو معلوم ـ مرفوع عن المجنون حتى يعقل؛ لأنّ العقل هو مناط التكليف، والعاقل هو القادر على تفهّم الوحي الإلهي وتدبّره والتفكر فيه، وهو الذي يبحث عن مراد الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ فَتَّانَيِ الْقَبْرِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتُرَدُّ عَلَيْنَا عُقُولُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كَهَيْئَتِكُمُ الْيَوْمَ، قَالَ: فَبِهِيِ الْحَجَرُ"[23]، وهذا من عمر ﷺ إشادة عظيمة بالعقل ومكانته، وأنه سبيل لتثبيت المؤمن عند السؤال في القبر بإذن الله، فيجيب الفتّانين بثبات ويقين بالله؛ لأنّ المؤمن العاقل أعمل عقله في الدنيا بما يرضي الله، فثباته عند السؤال تمامًا كثبات الحجر في الأرض، كما أن النبي ﷺ يُذكِّر الأمة بالمسؤولية عن الأفعال والأقوال، وأن ذلك كله يتبعه السؤال في القبر، أولى منازل الآخرة، مما يعني أن العاقل يوصف أمره بالثبات.

وروى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: "حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ"، وفيه: **"حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ وَأَظْرَفَهُ وَأَعْقَلَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ"**[24]، فيه إشارة إلى أن العقل الذي لا يهدي صاحبه إلى الإيمان لا عبرة به.

وروى ابْن لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "هَذَا أَوَانُ ذَهَابِ الْعِلْمِ"، أَوْ قَالَ: "هَذَا أَوَانُ انْقِطَاعِ الْعِلْمِ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ، وَفِينَا كِتَابُ اللهِ نُعَلِّمُهُ أَبْنَاءَنَا، وَيُعَلِّمُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ؟! قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ابْنَ لَبِيدٍ، مَا كُنْتُ أَحْسَبُكَ إِلَّا مِنْ أَعْقَلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، أَلَيْسَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِيهِمْ كِتَابُ اللهِ تَعَالَى؟"، وفي المستدرك بلفظ: "أَلَيْسَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِيهِمْ كِتَابُ اللهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ لَمْ يَنْتَفِعُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ؟!"[25] ، وفي النص

دعوة إلى التأمل في كتاب الله وحفظه من أي تحريف، والعمل بما فيه، حتى لا نكون مثل اليهود والنصارى، ولا عمل صحيحًا بدون إيمان صحيح وفقه صحيح.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، اعْقِلْ مَا أَقُولُ لَكَ: لَعَنَاقٌ يَأْتِي رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أُحُدٍ ذَهَبًا يَتْرُكُهُ وَرَاءَهُ. يَا أَبَا ذَرٍّ، اعْقِلْ مَا أَقُولُ لَكَ: إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ كَذَا وَكَذَا. اعْقِلْ يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أَقُولُ لَكَ..."[26] ، وفيه يحفز النبي ﷺ أبا ذر على حسن الفهم، الذي يؤدي إلى إدراك الحقائق الشرعية، ومنها التقليل من المال، إلا إذا أدى حقه من الزكاة والصدقة، كما أشار إلى فضل الجهاد. وهذا النص يجمع بين مدح الفقر ومدح الغنى، وعمومًا فـ"الفقر والغنى محنتان من الله يختبر بهما عباده في الشكر والصبر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[27] ، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[28] ، وثبت أنه ﷺ كان يستعيذ من شر فتنة الفقر ومن شر فتنة الغنى"[29]

فهذه نماذج من أحاديث الرسول ﷺ تدلل على أنّ السنة المطهّرة اشتملت على ذكر العقل وفضله، وبذلك تردّ على من نفى وجود أحاديث صحيحة في السنة المطهرة تشيد بالعقل وفضله وتشير إلى مكانته في الإسلام، ونرى فيها أن من المنهج النبوي في التزكية توجيه الإنسان إلى استخدام عقله، والتأكد من أن المخاطب عاقل حتى تطبق عليه أحكام الشريعة، أو حتى يتمكن من ضبطها بتعقلها وفهمها، ونلاحظ أن النبي ﷺ كان ينبه باستمرار إلى أهمية إعمال العقل بألفاظ مختلفة، نحو: اِعقل، وافهم، وأعقل الأهل، وامتحن عقل من عرض له بحادثة، وأكد أن العقل مناط السؤال أيضًا عند سؤال الفتانين، وغير ذلك، مما يشير إلى تزكية خاصة؛ لأن العقل مناط التكليف ووسيلة التفقه في الدين، قال - تعالى- : ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾[30]

واستخدم النبي ﷺ لفظ "الفقه"، وهو دليل على استخدام العقل أداة أساسية للفهم، ومنه دعاؤه لا بن عباس ﷺ بقوله: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ"[31] ، وقوله: "خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا"[32] ، أي : فهموا أصول الدين وأحكامه، وكل فهم لا بد أن يستند إلى العقل والنظر، لكن المقصود بالفقه في النصوص الحديثية؛ الفهم المفضي إلى العمل بتلك الأحكام، المؤدي بالعبد إلى الخوف من الله تعالى، فنتيجته مفضية بالضرورة إلى تقوية الإيمان والصلة بالله عز وجل، والخوف من عذاب الآخرة.

بالإضافة إلى ما ســـبق؛ نجد نصوصًا تضمنت إشاراتٍ علمية دقيقة لا تدرك إلا بالعقل والبحث العلمي الدقيق، من قبيل مراحل خلق الإنسان في بطن أمه، ومن أين يكون الشبه، وغيرها من مباحث أولاها العلماء في العصر الحديث عناية خاصة، وهي دوما سبب لدخول علماء غربيين في الإسلام.

وإذا رجعنا إلى تراث العلماء، وما دوّنوه في كتبهم؛ نجد عندهم مسائل تدل على عدّ العقل في الإنسان، وكونه مناط التكليف، فعند المحدثين: مبحث سماع الصغير، ومتى يصح؟، وهل يؤدي وهو صغير أم لا بد من بلوغه؟، وعند الفقهاء: مبحث زواج الصغيرة، هل يعد لها قول في قبول النكاح؟، وهل تؤخذ الزكاة من مال الصغير؟، وعند الأصوليين: أن العقل مناط التكليف، وعند المقاصديين: أن العقل أحد الكليات الخمس التي يجب الحفاظ عليها، وغير ذلك من المباحث التي تدل على أن علماءنا وعوا هذا الأمر بالنظر في النصوص الشرعية، وبنوا عليه اجتهاداتهم.

وبالجملة؛ فإن الإسلام شرع أحكامًا "من شأنها أن تحفظ للعقل قوته ...، وذلك بتيسير عوامل القوة له، وهي العوامل التي تنميه وتزكيه وترفع من طاقته في الإدراك الدقيق والحكم الصحيح، أو بدفع عوامل الضعف عنه، وهي... التي تعطل نموه وتشلّ طاقته. وبما أن العقل... طاقة ذات بعدين مادي ومعنوي؛ فإن حفظه لا يكون إلا بحفظ هذين البعدين فيه"[33]، لذلك حرم الشارع كل ما يضر بالعقل فيهما.

2- وسائل النبي ﷺ للدعوة إلى استخدام العقل، ومن أمثلته:

أ- استخدام القياس: ففي حديث الشاب الذي استأذن النبي ﷺ في الزنا[34] تعليم للإنسان ليستخدم القياس، وهو ضرب من ضروب الاجتهاد واستعمال الفكر، ومنه أيضًا حديث: "من ولد له غلام أسود"[35] ؛ فقد لفت النبي ﷺ انتباهه إلى أصل المسألة بضرب مثل من بيئته التي يعيش فيها، فاقتنع الرجل، وفي ذلك ما فيه من توجيه المعلمين إلى استخدام مناهج مختلفة تؤدي بالمرء إلى استخدام عقله قصد اكتشاف الحقائق، والحديث أصل في مسألة النسب.

بـــ-استخدام الخبرة والتجربة لعمارة الأرض، ومنه حديث: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"[36] ، وقد عدّ العلماء هذا الحديث مما ليس من باب تبليغ الرسالة، وقصة هذا الحديث أن رسول الله ﷺ حين قدم المدينة وجدهم يلقحون نخيلهم، فأرشدهم إلى ترك التلقيح، فلم ينتج تلك السنة، فقاله، والمقصود بهذا النص أن ما كان مرده إلى التجربة والخبرة ينبغي الاستفادة فيه ممن يمارس هذا الأمر فهو خبير به، وفي هذا دعوة إلى

إعمال العقل دون النص في الجملة، إلا ما كان متصلًا بأحكام الفقه، فيجب أن يرجع فيه حينئذ إلى المتخصصين فيه.

ففي نص الحديث بيان أن ما يلزم اتباعه من سنة رسول الله ﷺ إنما هو ما كان مستندًا إلى الوحي فحسب، وذلك غالبه متعلق بأمور الدين، وأقله متعلق بأمور الدنيا في شكل قواعد عامة. وكان بوسع النبي ﷺ أن يقول: إنني لا خبرة لي بالنخل -إذ ليس في مكة نخل- أو لا أحسن الزراعة، فبلدي وادٍ غير ذي زرع. ولكنه عليه الصلاة والسلام تخيّر أحسن العبارات وأجمعها، وجعل من حديثه في هذه المسألة الجزئية قاعدة كلية عامة مؤداها أنه فيما لا وحي فيه من شؤون الدنيا فالأمر للخبرة والتجربة والمصلحة التي يحسن أرباب الأمر معرفتها دون من لا خبرة له به، فلم يكن الجواب قاصرًا على مسألة تلقيح النخل، وإنما جاء شاملًا لكل أمر مما لم يأت فيه وحي من قرآن أو سنة.

ج-إعادة الكلمة وتكرارها لتفهم عنه؛ فعن أبي هريرة ﷺ، قال: "أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: مُرْنِي بِأَمْرٍ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ حَتَّى أَعْقِلَهُ، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ قَالَ: "لَا تَغْضَبْ"(37) ، وقد وصف أنس بن مالك ﷺ هذا المنهج النبوي بقوله: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلَاثًا لِتُعْقَلَ عَنْهُ"(38) ، وفي رواية البخاري: "حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ"(39) ، إذن المقصود بالعقل هنا الفهم، وهو جزء من المنهج التعليمي الذي امتاز به منهج النبي ﷺ في تزكية الإنسان، وقد كان النبي ﷺ يلفت انتباه الصحابة، قصد تنبيهم إلى التفكير في الأهم وضبط الجواب، كما سيأتي.

د- لفت انتباه الصحابة إلى ضرورة استخدام النظر العميق والفهم الدقيق لنصوص الشرع من خلال ما يعرض من قضايا وأسئلة، قصد دفعهم إلى الوصول إلى الصواب، ومن ذلك ما قاله بشأن الخوارج إذ قال له أحدهم: "يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ"، فقال بعدما ولى: "إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ" (40) ، فالسبب في هذا الفهم السيء أن الرجل ظن أن العدل هو التسوية بين الناس تسوية مطلقة، وليس العدل كذلك؛ فتصرفات النبي ﷺ السياسية أو غيرها مبنية على المصلحة والنظر السديد، وليس على الظواهر والأشكال، مما دعاه إلى أن يدعو إلى ضرورة أن يستخدم العقل وليس مجرد العبادة دون فهم، وهذه إشارة منه إلى علم أصبح يطلق عليه فيما بعد: "مقاصد الشريعة"، برع في إبرازه واستنباط قواعده

علماء مثل: العز بن عبد السلام، وابن تيمية، والشاطبي، وابن عاشور، وعلال الفاسي، وغيرهم.

وقال للرجل الذي ولد له غلام أسود: **"لَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ"**(41) ، إشارة إلى الخلايا المختفية التي ترجع إلى أحد أجداد الصبي، فالرجل بفهمه القاصر نظر فقط إلى لونه ولون زوجته، ولم يرجع إلى الأصول الغابرة.

وقال لعائشة رضي الله عنها إذ أنكرت أن يكون للمرأة ماء: "تَرِبَتْ يَمِينُكِ، وَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبَهُ؟"(42) ، وقال للذين استأذنوه في العزل: "مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ"(43)، وغير ذلك من الأمثلة التي تنبه إلى ضرورة استخدام العقل للوصول إلى حقائق الأشياء، وعدم التّوقف عند ظواهرها، قصد فهم المعاني والمقاصد.

ودعا النبي ﷺ إلى تزكية العقائد والأفكار، بتفريغ العقل من كل الأفكار والأوهام والمعتقدات التي لم تقم على برهان أو دليل، وتزويده بالمعتقدات الصحيحة عن الخلق والإنسان والكون والحياة والمصير، وتدريب العقل على منهجية التفكير الإسلامي، للوصول إلى الحقائق المختلفة المادية والمعنوية بنبذ الهوى والظن، والأخذ بالتفكير العلمي (44)

وبالجملة ؛ فإن "من أهم نقاط هذا المنهج: تجـــريدَ العقل من المسلمات المبنية على الظــنّ والتخــمين أو التبعية والتقليد. ومنها: إلزام العقل بالتحري والتثبت. ومنها: دعوة العقل إلى التدبر والتأمل في نواميس الكون. ومنها : دعـــوة العقل إلى التأمل في حكمة ما شرع الله لعباده من عبادات ومعاملات، وأخلاق وآداب، وأسلوب حياة كامل في السلم والحرب والإقامة والسفر؛ لأن ذلك يُنضج العقل ويُنميه، وتعرفه على تلك الحكم يعطيه أحسن الفرص ليطبق الشرع الرباني في حياته، ولا يبغى عنه حولًا، لما فيه من السكينة والطمأنينة والسعادة والبشرية، ولأن الله سبحانه وتعالى إنما شرع ما شرع لذلك. ومنها: دعوة العقل إلى النظر في سنة الله في الناس عبر التاريخ البشري؛ ليتعظ الناظر، ويتأمل في سنن الله في الأمم والشعوب والدول"(45).

ثالثًا- تزكية الإنسان روحيًا: **راعى النبي ﷺ القلوب بتطهيرها من غوائلها، وترقيتها في مدارج الإيمان؛ لأن صلاح الإنسان بصلاح قلبه، وكل نفس تحتمل الفجور وتحتمل التقوى، فكان لا بد من النظر في الذات الخفية لمعالجتها من الأسقام الداخلية، فـ"لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام، لو أهملت تراكمت وترادفت العلل**

وتظاهرت؛ فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة علمها وأسبابها، ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها، فمعالجتها هي المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[46] ، وإهمالها هو المراد بقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[47] "[48].

ونظـــرًا لأهمية النفس البشرية، وانعكاس ما يخالج الإنسان من خواطر على سلوكه؛ استعمل النبي ﷺ عدة وسائل لتنمية الجانب الروحي عند الإنسان المسلم، أذكر منها ما يأتي:

1- التزام الدعاء لتزكية النفس، كان رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا"**[49] . وقد قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: **"يَا رَسُولَ اللهِ، مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ. قَالَ: قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ"**[50] ، فالدعاء معناه الخضوع لله تعالى عن طواعية، والاعتراف له سبحانه بالضعف التام، والانسلاخ عن ظلم النفس والاتكال عليها، واللجوء إليه بالكلية، واستمداد العون والتوفيق منه، واستغراق الوقت بالدعاء واللجوء إلى الباري سبحانه وتعالى كل وقت وحين.

ففي الحديث الأول؛ يتعوذ النبي ﷺ من آفات النفس الداخلية وأدوائها، والقصد من ذلك تعليم الأمة اللجوء إلى الله تعالى لحفظ إيمان الإنسان من أي آفة داخلية تنعكس على سلوك الإنسان الخارجي، ولاحظ معي أنه قدم شر النفس على شر الشيطان؛ فإن الله تعالى ما جعل له سلطانًا على المؤمنين، والإنسان مسؤول عن تصرفاته ولو كان تابعًا للشيطان، وقد أغواه، فإن المسلمين يعلمون أنه سيتخلى يوم القيامة عن أوليائه، فهذه إشارة خفية إلى أن النفس هي المسؤولة عن الشر، وعلى المؤمن أن يتعوذ بالله منها، وهي المسؤولة عن أي سلوك يصدر عن الإنسان.

إن الدعاء له شأنٌ عظيم في إصلاح النفس، ويلاحظ أن النبي ﷺ كان يكثر من قوله: "والذي نفسي بيده"، وهو قسَم يدلُّ على أهمية النفس البشرية، ويشير إلى أنها مملوكةٌ لله سبحانه، وأن العبد لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا إلا بإذن الله تعالى.

2- الدعوة إلى العيش بمعية الله – تعالى- ، والشعور بمراقبته، وإرجاع حفظ النفس إليه وحده، جاء في الحديث قوله ﷺ: "ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ"، وذكر: "وَزَكَّى عَبْدٌ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا تَزْكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُ مَا كَانَ"[51] ، وفي هذا إشارة إلى ضرورة الاستقامة على الدين، حيث يراقب نفسه، ويعلم أن فوقه رقيبًا، هو الله تعالى، وهذا وازع داخلي يتكون في النفس المسلمة، وهكذا كان النبي ﷺ يدعو الإنسان إلى الرقي بنفسه في مدارج الإيمان، وهو ما يترتب عليه الإحجام عن فعل المنكرات، والالتزام بالمعروف، وهذا ما يفسر لجوء عدد من الصحابة الذين ارتكبوا الفاحشة في لحظة ضعف إلى النبي ﷺ، طلبًا للتطهر، وتوبةً إلى الله عز وجل؛ فإن المرء لا يقوى بنفسه، ولكن بالله تعالى، ولذا جاء في حديث آخر: "دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت"[52] ، فالمكروب ممن تنتابهم لحظات ضعف نفسي، قد تزلّ بهم القدم، فيقع في الكبائر وينجر وراء الشهوات، لذا فالإيمان هو ما يقي صاحبه من الزيغ عن الصواب، ومظهره ههنا الرجوع إلى الله - سبحانه - قصد حفظ نفسه.

3- تنبيه الصحابة إلى العلل وتوجيههم إلى الأكمل، قال ابن عاشور: "وأما حال طلب حمل النفوس على الأكمل من الأحوال؛ فذلك كثير من أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه الراجعة إلى تكميل نفوس أصحابه، وحملهم على ما يليق بجلال مرتبتهم في الدين، ...فقد كان رسول الله ﷺ لأصحابه مشرعا لهم بالخصوص، فكان يحملهم على أكمل الأحوال، من شد أواصر الأخوة الإسلامية بأجلى مظاهرها، والإغضاء عن زخرف هذه الدنيا، والإيغال في الإقبال على الدين وفهمه؛ لأنهم أُعدوا ليكونوا حملة هذا الدين وناشري لوائه"[53]

ومن أمثلة هذا النوع؛ قول الرسول ﷺ: **"مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ"**[54] ، فسؤال أبي بكر ﷺ ينم عن إيمان يدفع إلى طرح إشكال أثاره قول النبي ﷺ، ويظهر شخصية صحابي زكت نفسه بنصوص الشرع، فاستقام سلوكه، وفي جواب النبي ﷺ تلميح إلى خلق أبي بكر ﷺ وهو التواضع والمسكنة، وإن صنع شيئًا أشار ظاهره إلى سلوك ذميم وهو العجب

والخيلاء، والنص يعالج آفة نفسية تخالف الإيمان، فالتكبر صفة خاصة بالله تعالى، والعجب والخيلاء ليسا من سمات المؤمن، وذلك من شأنه نقض إيمان المؤمن.

ومن الأمثلة – أيضًا - ؛ أن "عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ؛ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ**"[55] . فقد نقل رسول الله ﷺ سيدنا عمر ﷺ من وضع إلى وضع آخر أسمى منه، فكان كلام المزكي الأكرم ﷺ سببًا في تنمية خصلة المحبة في قلبه.

وقال رسول الله ﷺ في حق أبي ذر ﷺ: "مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ وَلَا أَوْفَى مِنْ أَبِي ذَرٍّ"[56] ، ثم عاتبه بجنس مقامه، إذ عير رجلًا بأمه، فقال له النبي ﷺ: "إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ"[57] ، ثم وجهه إلى إحسان معاملته في الأكل واللباس والتكليف بالعمل، فأثبت الأخوة في الدين بين الناس جميعًا، مهما اختلفت ألوانهم وأعراقهم، وبيّن طريقة التعامل الحسنة التي تعكس أصول التعامل في الشريعة.

وهذا كله من باب تطهير قلوب الصحابة ﷺ، وتنمية الخصال التي أودعها الله فيهم، ولو تتبعنا ذلك في أبواب فضائل الصحابة لوجدناه مستفيضًا، مما يدل على أن رسول الله ﷺ كان يتعهدهم بالتزكية والتربية والتوجيه في كل حين، فأدى النبي الكريم - صلوات الله تعالى وسلامه عليه- مهمة التزكية خير أداء، فكان - عليه الصلاة والسلام- بحق أعظم من تولى هذا المنصب إلى يوم القيامة.

ولقد أولى العلماء عناية كبيرة لهذا الجانب، لأنهم أدركوا قيمته في توجيه المكلفين إلى ما فيه صلاح نفوسهم وكمال أخلاقهم، أفرادا كانوا أو جماعات، فالأخلاق في الإسلام هي الأصل في كل عمل، وحسنها هو الأصل في كل نفع، قال الشاطبي: "والشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق"[58] ، ولا خفاء في أن تزكية النفوس هي باب التحقق بهذه المكارم، قال الغزالـــي : "الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين، وهو على التحقيق شطر الدين، وثمرة مجاهدة المتقين، ورياضة المتعبدين، والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين"[59].

4- تطهير النفوس من الوساوس والأمراض وتثبيتها على الحـــق : لقد كان ﷺ يعالج نفوس صحابته من الوساوس والعلل، وهذا من أكبر مظاهر تصرفه عليه الصلاة والسلام بالتزكية، وحسبنا من ذلك قصة أُبيّ بن كعب ﷺ حيث سمع رجلًا يصلي يقرأ قراءة أنكرها عليه، فدخلا جميعًا على رسول الله ﷺ، فقال أُبيّ: "إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَرَآ فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي، فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا"[60] ، فلم يدعِ النبي ﷺ الشك والتكذيب يهدمان إيمان أُبي ﷺ، لعلمه بما يختلج القلوب، ويتسرب إلى النفوس من الوساوس والظنون، فاستطاع - عليه السلام - أن يطهّره من ذلك كله بضربة من يده الشريفة رفعته من حال التكذيب إلى حال اليقين، قال النووي: "قال القاضي (أي : عياض) : ضربـه - ﷺ - فـي صدره تثبتا له حين رآه قد غشـيه ذلك الخاطر المذموم"[61] .

وكثيرًا ما وُجِد في السيرة النبوية أمثال هذا النوع من الفعل النبوي، حيث كان ﷺ يضع يده الشريفة على المزكى، إما لإزالة وهـم أو مرض علق به، أو تثبيتًا على الحق وتنمية لخصلة من الخصال، فعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا، فَقُلْتُ: تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ وَأَنَا حَدَثُ السِّنِّ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ؟ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: ثَبَّتَكَ اللهُ وَسَدَّدَكَ، إِذَا جَاءَكَ الْخَصْمَانِ، فَلَا تَقْضِ لِلْأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يَبِينَ لَكَ الْقَضَاءُ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا"[62] .

وقد قال النبي - ﷺ - لعثمان بن أبـــي العاص : **" أُمَّ قَوْمَكَ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُـولَ اللهِ، إِنِّي أَجِدُ فِي نَفْسِي شَيْئًا. قَالَ: ادْنُهْ. فَجَلَّسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِي صَدْرِي بَيْنَ ثَدْيَيَّ، ثُمَّ قَالَ: تَحَوَّلْ، فَوَضَعَهَا فِي ظَهْرِي بَيْنَ كَتِفَيَّ ثُمَّ قَالَ: أُمَّ قَوْمَكَ**..."[63] الحديث، قال النووي: "وقوله: أجد في نفسي شيئًا، قيل: يحتمل أنه أراد الخوف من حصول شيء من الكبر والإعجاب له بتقدمه على الناس، فأذهبه الله تعالى ببركة كف رسول الله ﷺ ودعائه، ويحتمل أنه أراد الوسوسة في الصلاة؛ فإنه كان موسوسًا، ولا يصلح للإمامة الموسوس"[64]، وفي كلتا الحالتين يتحقق معنى التزكية بحصول الطهارة من الوساوس والأمراض، ويلاحظ هنا أن النبي ﷺ كان يعمل على خلق الثقة في نفس الإنسان حتى يكون مستعدًا لأداء المهمة التي تتطلب علمًا وخبرة،

واستعدادًا نفسيًا مسبقًا قبل القيام عليها، وبيّن بذلك الطريق للمُرَبّين في اختيار أشخاص رغم صغر سنهم، ما داموا على الطريق الصحيح.

5- توجيههم إلــى الإخــلاص فـــي العبادة، والاجتهاد في التطـوع : ومنه قوله ﷺ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[65] ، وقال لبلال- رضي الله عنه: **"حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنِّــي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُــورًا فِي سَاعَــةِ لَيْلٍ أَوْ نَـهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّي"**[66] ، فهو بهذا يدعو المكلف إلى إخلاص القصد وتصحيحه، فلا يصوم المسلم جوعًا أو عطشًا، وإنما يقصد بسعيه احتساب الأجر عند الله تعالى حتى ينال مغفرة ذنوبه، كما أرشد إلى أهمية التطوع وما يناله المؤمن نتيجة عمل قد لا يبدو كبيرًا، فـ"في الحديث تعليم للمؤمنين كيف ينبغي لهم أن يتطلبوا مرضاة الله بوجوه كثيرة من الأعمال والإخلاص فيها وصدق النية، والافتكار في أسباب النجاة ورفع الدرجات"[67] ، وفي كل ذلك تنمية روحية للمؤمنين، وعمل على زيادة إيمانهم وتزكيتهم، وربطهم بالله - عز وجل - قصد الفوز في الآخــرة.

6- التزكية بأسماء الله تعالى وصفاته، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: " قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا"[68] ، فالنبي ﷺ هنا استثمر موقفًا ولم يَدَعِ الفرصة تفوته، فأرشدهم إلى صفة الرحمة بعرض مثال واقعي كي يكون أوقع في النفس، فلا يستوي أثر المعاني حين تربط بصور محسوسة، مع عرضها في صور مجردة جافة، إذ المواقف تستثير مشاعر جياشة في النفس، فحين يستثمر هذا الموقف يقع التعليم موقعه المناسب، ويبقى الحدث وما صاحبه من توجيه وتعليم صورة منقوشة في الذاكرة، تستعصي على النسيان.

المطلب الثانـــــي- وسائل التزكية وأسسها:

أولًا- وســـــائل التزكيـــــة:

1ـ التزكية بالتعليم، وفيه تنوعت مسالك التزكية عند النبي - ﷺ - بتنوع أصحابها، هذه الخاصية هي من كمال علمه ﷺ بالنفوس والاستعدادات والإرادات، فكان يتصرف بحسب ما ينفع كل سائل أو مستفسر أو مسترشد، فيهديه إلى ما تتزكى به حاله، وتتحسن أخلاقه، ويعلو مقامه. وقد ذكر الشاطبي هذا المسلك إثر حديثه عن تحقيق

المناط الخاص الذي هو نظر في كل مكلف بالنسبة إلى ما وقع عليه من الدلائل التكليفية، بحيث يتعرف منه مداخل الشيطان ومداخل الهوى ليتحرز منها، قال: "وهو النظر فيما يصلح بكل مكلف في نفسه، بحسب وقت دون وقت، وحال دون حال، وشخص دون شخص، إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وزان واحد...، فصاحب هذا التحقيق الخاص هو الذي رزق نورًا يعرف به النفوس ومراميها، وتفاوت إدراكها، وقوة تحملها للتكاليف، وصبرها على حمل أعبائها أو ضعفها، ويعرف التفاتها إلى الحظوظ العاجلة أو عدم التفاتها، فهو يحمل على كل نفس من أحكام النصوص ما يليق بها"(69)

ويعد هذا الضرب من الفعل النبوي كثيرًا في الأحاديث النبوية؛ فقد سئل رسول الله ﷺ: "أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا. قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ". قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ"(70) ، وسئل: "أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ"(71) ، وسئل: "أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"(72) ، وسئل: "أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"(73)، وقيل له: "عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ قَالَ: اعْزِلِ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ"(74)، وطلب منه أبو ذر استعماله، فقال له: "إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ"(75)، وطلب منه آخر أن يجعله إمام قومه، فقال: "**أَنْتَ إِمَامُهُمْ، وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ** " (76)، قال الشاطبي: "... إلى أشياء من هذا النمط جميعها يدل على أن التفضيل ليس بمطلق، ويُشعِر إشعارًا ظاهرًا بأن القصد إنما هو بالنسبة إلى الوقت، أو إلى حال السائل"(77)، فيكون حكمه ﷺ جوابًا شافيًا لحال السائل، موافقًا إرادته واستعداده للعمل، فهذه المواقف تُبيّن كيف كان رسول الله ﷺ يعامل أصحابه كلًا حسب قابليته وما يصلح به حاله، وهذا هو عين التزكية والتربية النبوية.

ومن وسائل التعليم توجيه السؤال والجواب عنه؛ قد يسأل النبي ﷺ تشويقًا بصيغة التنبيه (ألا) غالبًا؛ كقوله ﷺ: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ؟"(78) ، وقد يسأل لتصحيح المفاهيم، أو تعليم مفاهيم شرعية جديدة عليهم لا يفطنون لها إلا بالتوجيه(79) ؛ كقوله: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟"(80) ، اختبارًا لفهومهم، ثم يعطي المفهوم الجديد، وهي طريقة فعالة في اختبار علم الطالب وثقافته، ودفعه إلى التفكير، وشد انتباهه إلى علم جديد، وهو ما يؤدي إلى رسوخ الفكرة الجديدة، ومعلوم أن الشريعة نقلت بعض الألفاظ من

معناها اللغوي إلى معنى شرعي جديد، مثل: لفظي الصلاة، والزكاة، وغيرهما، وقد يسأل اختبارًا للحفظ والفطنة، مثل قوله: "أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟"، ثم تعقيبه على جواب الصاحب بقوله: "لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ، أَبَا الْمُنْذِرِ"(81) ، قال ابن حجر: "أجابوه (أي الصحابة) عن كل سؤال بقولهم: (الله ورسوله أعلم)، وذلك من حسن أدبهم؛ لأنهم علموا أنه لا يخفى عليه ما يعرفونه من الجواب"(82)

وتميز أسلوب النبي ﷺ بتشجيع المتعلم، وهو ما يبعث على الشعور بالارتياح والثقة بالنفس، ويدعو إلى طلب المزيد من العلم، وحفظه، مع ما فيه من إجلال للأستاذ، لـ"أن لموقف المُدرِّس من أجوبة المتعلمين على أسئلته أثرًا قويًا في نجاح تدريسه أيضًا، ولإحداث تفاعل وتقبل بينه وبين طلبته؛ لا بد من إظهار الاستحسان لجواب المتعلم وتشجيعه، وزرع الثقة فيه، وحمله على الإجابة في المرات القادمة، وعليه تَقَبُّل إجابات الطلبة حتى لو كان فيها نقص أو خطأ"(83)

هذا المنهج التعليمي النبوي وصفه الصحابة بقول أحدهم: "مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ" (84)، وذكر آخـر " أَنَّهُ قَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ فَرَأَى مِنْ تَيْسِيرِهِ"(85) ، قال النووي: "فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، ...وتقريب الصواب إلى فهمه"(86) ومن سمات هذا المنهج -أيضًا- أن حديثه "لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ"(87) ، بمعنى "أنه كان يحدث حديثًا قليلًا، ...واضحًا مبينًا، بحيث لو عدت كلماته أحصيت لقلتها، وبيانها"(88) ، وأنه "لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ"(89) ، قال في الفتح: "المراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم"(90) ، وأنه كان "إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا"(91) ، وذلك حتى ترسخ في أذهان سامعيه من الصحب الكرام، وتُعقَل عنه، وهذا يعني أن على العالم أن لا يسرع -أثناء إلقاء درسه على طلبته- إسراعًا مخلًا، وأن يعتمد الجمل القصيرة، ويتجنب التطويل فيها، وأن لا يكثر من الجمل الاعتراضية، وأن يسعى إلى إيصال المعلومات وتركيزها في الأذهان عن طريق التكرار غير الممل، وضرب أمثلة من الواقع، واعتماد أسلوب المقابلات الذي تتطلع إليه النفوس عادة. ونلاحظ إجمالًا أن المنهج النبوي في تعليم الإنسان امتاز بالثناء والتشجيع، والرفق، والتيسير، وهو ما أسهم في نقل العلم الشرعي إلى شهود الوحي، ونقل منهج التعليم من الصحابة إلى التابعين.

2- الترغيب في حضور مجالس العلم، ومنه حديث أَبي وَاقِدٍ اللَّيْثِيّ في ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، إذ قال فيهم النبي ﷺ: **" أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ"**(92) ، فواضـــح من النص أن من أخذ مكانه في مجلس العلم كان سابقًا بالخير، يليه في الدرجة من جلس خلف المجلس استحياء من مزاحمة الجالسين قبلُ، يقابلهما من لم يجلس إلى رسول الله ﷺ ليتعلم منه، فأعرض الله عنه، وفي ذلك توبيخ لمن يرفض الجلوس في مجلس العلم، ونستفيد هنا ضرورة الاستفادة من مجالس العلم والترغيب في الاهتمام بها، كما نسجل هنا ضرورة استفادة العالِم من صنيع النبي ﷺ في التنبه إلى ما يجري في مجلس العلم وما حوله من تصرفات لطلبة العلم والتدخل لمعالجتها تربويًا؛ ليستفيد كل من حضر مجلس العلم.

3- التدرج في التعليم، ومن ذلك وصية النبي ﷺ لمعاذ ﷺ حين بعثه إلى اليمن، وأمره بالتدرج في تبليغ أوامر الشريعة، وتخول الصحابة بالموعظة، حتى أصبح هذا منهجًا تعليميًا يسيرون عليه في حياتهم، كما فعل ابن مسعود ﷺ مع تلاميذه(93)

4- ضرب المثل، ومن ذلك أن "النبي ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟ فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ فَقَالَ: فَوَاللهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ"(94) ، فالنبي ﷺ هنا يستثمر موقفًا ولا يدع الفرصة تفوته، وهو يتجول مع الصحابة في السوق، ويعلمهم أمرًا بعرض المثال كي يكون أوقع في النفس، فلا يستوي أثر المعاني حين تربط بصور محسوسة، مع عرضها في صورة مجردة جافة، إذ المواقف تستثير مشاعر جياشة في النفس، فحين يستثمر هذا الموقف يقع التعليم موقعه المناسب، ويبقى الحدث وما صاحبه من توجيه وتعليم صورة منقوشة في الذاكرة، تستعصي على النسيان، فظاهر النص فيه ترغيب في الشيء المكروه مما يجعل المستقبلين يتعجبون وينكرون، ثم يؤسس عليه بيان المعنى الذي يريده ويقصده من خلال المثال الذي تضمنه السؤال، والاستفهام هنا تقريري.

5- إصلاح الأخطاء، وتوجيه الناس إلى التوسط والاعتدال، ومنه قول النبي ﷺ لمعاذ يأمره بتخفيفه بالصلاة: "يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ ثَلَاثًا، اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَنَحْوَهَا"(95)، قال ابن حجر: "ومعنى الفتنة ها هنا أن التطويل يكون سببا لخروجهم من الصلاة، وللتكره للصلاة في الجماعة"(96) ، وحديث عبد الله ابن

عمرو السابق، وفيه توجيه المرء إلى التوسط والاعتدال في العبادة، وحديث المسيء صلاته الذي يبين ما تصح به الصلاة مما يحقق الخشوع للمصلي.

وعمومًا؛ فقد تميز منهج النبي ﷺ في تعليم أصحابه وتزكيتهم بالرفق والتيسير، والمدح والثناء والتشجيع، وتوجيههم إلى الأخذ بالتوسط والاعتدال.

ثانيًا- أسس التزكية: بنى النبي ﷺ تزكيته لأصحابه على عدد من الأسس، أفصلها باختصار فيما يلي:

1- تعليم العقيدة الصحيحة، واتخذ مسارين اثنين؛ الأول تعليم العقيدة ابتداءً، كما في حديث الأعرابي في قوله ﷺ: "دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ..."(97) والثاني تصحيـــح ما يقع فيه المسلم من أخطاء عقدية، فقد وجه النبي ﷺ المسلمين بعد حلف عمر بأبيه بقوله: "أَلَا إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ"(98) ويلاحظ أن النبي ﷺ كان يربط بين العقيدة والأركان الأخرى والعمل الاجتماعي، كما في قوله لأعرابي آخر: "تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ...، وَتَصِلُ الرَّحِمَ"(99)

فقد امتاز المنهج النبوي في بناء الإنسان بغرس العقيدة الصحيحة، وتقوية الإيمان من خلال تعهده بالتربية والتزكية، فالعقيدة آكد ما ينبغي الاعتناء به، لأنها تحدد للإنسان هويته، وتدفعه إلى اتخاذ المواقف، وأنماط السلوك الموافق لطبيعتها، حيث إن العمل يترتب على الاعتقاد، كما تترتب النتيجة على السبب.

ويظهر أثر العقيدة السليمة جليًا في تهذيب السلوك، وتزكية النفس، وتوجيهها نحو المُثُل العليا، إذ ما من فضيلة إلا وتصدر عنها. ومن شأن اهتزاز الإيمان في القلوب، وتزعزع العقيدة في النفوس فقدان السيطرة على السلوك، وإطلاق عنان العقول تمعن في الظلمات، وإذ ذاك يستجيب الإنسان إلى كل صيحة، وينقاد لكل دعوة، وإن كان فيها هلاكه، وسوء عاقبته. ومن ثم نجده ﷺ ينفي الإيمان عمن لا أمانة له، إذ قال: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ"(100) ، وجعل من لــوازم الإيمان صلة الرحم وإكرام الضيف، واتباع الجنائز، وغيرها من القيم والأخلاق، وهذه السمة - العبودية لله تعالى- تحقق الغاية من الخلق وتلبي نداء الفطرة؛ قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾(101) ، وغياب هذه السمة من حياة الإنسان يؤدي إلى اختلالِ الموازين، واضطرابِ المفاهيم، ومصادمةِ الفطرة الإنسانية، وذهابِ الفضائل

والمثل والقيم، ومن الضروري الاستفادة من منهج النبي ﷺ في التربية والتعليم لصياغة مناهجنا التعليمية والتربوية.

2- صياغة التفكير السليم، ومنه تصحيح المفاهيم، ومثاله حديث المفلس[102] ، وحديث تشبيه المسلم بالشجرة[103] ، إشارة إلى أن المسلم الذي يتقي الله تعالى في السر والعلن، يكون دائم الخير والفضل، وفي ذلك الثناء تشجيع على الاستقامة على منهج الله تعالى وفق ما أراد وقصد.

3- الاتصاف بالخلق القويم؛ فقد قال النبي ﷺ -فيما رواه أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ-: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ"[104] ، وأخرج مالك بلاغًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ"[105] ، فأنت ترى أن تربية الإنسان على الأخلاق الحسنة تعد من مقاصد الشريعة الأصلية، قال الشاطبي: "والشريعة كلها إنما هي تخلق بمكارم الأخلاق ...، إلا أن مكارم الأخلاق إنما كانت على ضربين: أحدهما؛ ما كان مألوفًا وقريبًا من المعقول المقبول كانوا في ابتداء الإسلام إنما خوطبوا به، ثم لما رسخوا فيه؛ تمم لهم ما بقي، وهو الضرب الثاني، وكان منه ما لا يعقل معناه من أول وهلة، فأُخِّر حتى كان من آخره تحريم الربا، وما أشبه ذلك"[106].

والطريف في الحديث الأول التنصيص على أن حسن التعامل مع المرأة دلالة على خيرية الرجل، وهي إشارة إلى أحد أسس بناء الأسرة القويمة.

4ـ **التشـــريع الشامل بتوسط واعتدال:** قال ابن عاشور: "أما حال التشريع؛ فهو أغلب الأحوال على الرسول عليه الصلاة والسلام، إذ لأجله بعثه الله، كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾[107] ، وقرائن الانتصاب للتشريع ظاهرة، مثل: خطبة حجة الوداع"[108] ،وتتعدد مجالاته، ومنها التشريع التعبدي، والاقتصادي، والمعاملاتي ، والسياسي، ذلك أن الإسلام شامل لكل مجالات الحياة، فقد كان النبي ﷺ يشرع العبادات التي يتوصل بها المسلم إلى عبادة الله عز وجل وحده، فقد بدأ الصحابة بالتربية الأرقمية في المرحلة المكية، وعلّمهم الصبر على المحن، والتزام الاعتقاد الصحيح، مع السعي للانتقال إلى القوة التي تُمكّن المسلم من إقامة دينه دون خوف، بما في ذلك إقامة جميع نظم الإسلام.

لكن أهم ما امتاز به تشريع النبي ﷺ ومنهجه في تزكية الإنسان وبناء صورته بناءً صحيحًا هو التوسط في التدين، فالمنهج الوسط يكون بالاتباع الأمثل لأحكام الله، ولسنة رسوله ﷺ، وما نقص من ذلك عن دائرة التقوى كان تفريطًا وتهاونًا، وقد يكون

معصية لله تعالى إذا تُرك الواجب، أو فُعل المحرم، أو تُركت السنة بالكلية. وما زاد على الاتبـاع الأمثل لأحكام الشريعة كان غلوًا وإفراطًا، وقد قال النبي ﷺ: "إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[109] ، فلا إفراط ولا تفريط، ويمثل هذا الأمر شهادة من النبي ﷺ على الصحابة، ومن بعدهم على كل المسلمين الذين يؤمنون بهذا الدين؛ فهو منهج الأمة الوسط الذي رسمه الله سبحانه لأمة الإسلام.

وبالتأمل في منهج النبي ﷺ؛ نجد -كما مر معنا- أنه منهج شمولي؛ فهو منهج شامل لصالح الإنسان يرتبط بالواقع، ويعالج مشكلات التربية، ويحيط بجميع أبعاد حياة الإنسان باعتباره وحدة يتلاحم فيها الجسد والعقل والروح، والقول والفعل والنية، والظاهر والباطن من ميلاد الإنسان إلى وفاته، ويحضر في كل مجالات الحياة المختلفة، البيت والمدرسة والشارع وسوق العمل، يراعيه في جميع جوانبه ومكوناته. وهو منهج يتعهد الإنسان برعايته فردًا، وأسرةً، ومجتمعًا، وأمة فيما بينها ضمن علاقة تبادلية قائمة على التفاعل، وهو بذلك يلبي جميع حاجات الإنسان، لأنه منهج رباني من نبي معصوم عليه أزكى الصلوات وأتم السلام، متسم بترابط العقيدة والشريعة والأخلاق في كلٍّ منسجم، ووحدة متلاحمة، تؤتي أكلها على صعيد التكوين النفسي والبناء التربوي الشامل للإنسان المسلم.

والمنهج النبوي في بناء الإنسان منهج يوازن بين متطلبات الروح والجسد، بحيث لا يطغى جانب على آخر، فلا يهمل المسلم ما يتطلبه جسده من العناية دون تجاوز الحد المشروع، ولا يحرم روحه من حقها، وفي ذلك مزايا كثيرة، فالتوازن يحقق الاستقامة في المنهج، والبعد عن الزيغ والانحراف، وقد حرصت السنة النبوية على حفظ التوازن داخل المجتمع في الأمور كلها، وكلما لمح من بعض أصحابه جنوحًا إلى الإفراط أو التفريط في مجال ما، ردّهم ﷺ إلى الاعتدال والتوسط، وحذرهم من الغلو أو التقصير، لما لهما من آثار سلبية على تقدم المجتمع ونمائه.

المطلب الثالث- تزكية النبي ﷺ الصحابة بالقرآن:

لماذا القرآن الكريم؟: أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم هدى للناس، وهو يهدي إلى التي هي أقوم، وتزكية النَّفس هي دَعوة الأنبياء وخلاصَةُ رسالتهم؛ ولذا لمَّا دعا موسى عليه السلام فرعونَ قال له: ﴿**هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى**﴾[110] ، وقال الله – تعالى- عن دعوة النَّبي ﷺ: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[111]، وقد سلك النبي ﷺ لتبليغ القرآن إلى الأمة وتزكيتها به عدة وسائل، أذكر منها ما يأتي:

1- تخصيص بعض السور والآيات بالاهتمام، مثل قوله ﷺ: "اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ"[112] ، و"**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ يَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**"[113] ، وعند البحث في سر هذا الأمر؛ نجد أن سورة الصمد اشتملت على أصل التوحيد، وفي ذلك توجيه للمسلمين إلى التوجه إلى الله تعالى بالقلب وحده، ونفي كل شريك، وقد جاء في أحاديث كثيرة التركيز على هذا الأصل؛ فإنه ينبثق عنه تصور المؤمن للحياة بشقيها الدنيوي والأخروي، وعنه ينبني سلوكه القويم.

2.توجيه الصحابة فرديًا وجماعيًا إلى تعلم القرآن وتعليمه، ومن ذلك قوله ﷺ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"[114] ، وقوله ﷺ: "أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ"[115] ، قال القرطبي: "ومقصود الحديث الترغيب في تعلم القرآن وتعليمه، وخاطبهم على ما تعارفوه، فإنهم أهل الإبل، وإلا فأقل جزء من ثواب القرآن وتعليمه خير من الدنيا وما فيها"[116]

3.قراءة القرآن في الصلوات والتركيز أحيانًا على سور بعينها، ومثاله: قراءة "ق" في صلاة الجمعة، قالت إحدى الصحابيات: "أَخَذْتُ ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ يَقْرَأُ بِهَا عَلَى الْمِنْبَرِ، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ"[117] ، فالاستعداد النفسي، وعلو الهمة، وقوة الذاكرة، وعمق الإيمان لدى الصحابة، كل هذا ساعد على قراءة القرآن وضبطه. وقد كان النبـــي - ﷺ - يقرأ في صلاة الليل، وفق منهج وصفه حذيفة بن اليمان ﷺ بقوله: "يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ"[118] ، قال القرطبي: "يقرأ مترسلًا"؛ أي : مترفقًا متمهلًا؛ من قولهم: على رسلك؛ أي: على رفقك. وهذا التطويل، وهذه الكيفية التي صدرت عنه في هذه الصلاة، إنما كانت منه بحسب وقت صادفه، ووجد وجده، فاستطاب ما كان فيه، واستغرقه عما سواه"[119] ، وكان ينبه الصحابة إلى السجود في سجدات القرآن بفعله، يقول ابْنُ عُمَرَ ﷺ: "إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَقْرَأُ سُورَةً فِيهَا سَجْدَةٌ، فَيَسْجُدُ وَنَسْجُدُ مَعَهُ"[120] ، ففي هذا تعليم للصحابة ضرورة الاعتصام بالله تعالى من عذابه، وسؤاله رحمته[121] ، والانقياذ له، والتقرب منه، فيحصل التعبد الخالص له، والارتقاء في مدارج الإيمان، ومعلوم أن العبد يكون أقرب إلى ربه وهو ساجد، فالنبي

ﷺ يتقرب إلى الله - عز وجل- ، ومعه الصحابة الذين يتأســـون به ويمتثلون وينقادون له تعبدًا وحبًّا في الله ورسوله، وهــذا ما أنتج صحابة يخشــون الله تعالى.

4.التزكية بالقرآن بتعلمه وسماعه من النبي ﷺ وغيره: فبتشجيع من النبي ﷺ؛ تبارى الصحابة على سماع القرآن منه، فهذا ابن مسعود ﷺ يقول: "أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً"[122] ، لذا وجههم النبي ﷺ إلى السماع منه بقوله: **"مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ"[123]** و**"الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ"**[124] وقد ضرب النبي ﷺ المثل من نفسه، حيث طلب من ابن مسعود القراءة عليه، قائلًا: "اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي"[125] ، وفيه أن النبي ﷺ بكى، وهذا مقصد تربوي لسماع القرآن وإسماعه؛ فإن به تحيى النفوس وتزكو، وكان أن نتج عن هذا السماع ظهور صحابة قراء ومفسرين أسسوا مدارس للقرآن وتفسيره، فقد أرشد النبي ﷺ الصحابة إلى السماع منهم والأخذ عنهم؛ بقوله: "خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَأَ بِهِ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ"[126] ، ومن ذلك قول النبي ﷺ لأُبَي: "إِنَّ اللهَ يأمُرنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: **﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾**"[127] ، وبسماع القرآن الكريم أسلم كثيرون، لذا كانت مهمة النبي ﷺ تبليغ القُـــرآن الكريم، قال - تعالى - : **﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾**[128] وإسماعه أحد مقاصده.

وقد كان النبي ﷺ يبلغ القرآن فور نزوله، ويُرغِّب في ترتيله وحفظه وقراءته، وفهمه وتفسيره، لذا وجدنا نماذج من الصحابة الفقهاء؛ لأنهم وقفوا على أسرار كتاب الله تعالى، فهذا ابن عمر ﷺ -مثلًا- مكث في سورة البقرة يتعلمها ثماني سنين، قال ابن عبد البر: "إنه كان يتعلمها بأحكامها ومعانيها وأخبارها، فكذلك طال مكثه فيها"[129]. وبهذا كان يطول على أحدهم تعلم السورة الواحدة، مع كمال عقلهم، وقوة فهمهم، وتمام علمهم ﷺ، علمًا أن النبي ﷺ فسر بعض الآيات، وروى تفسيره هذا المحدثون في كتبهم، تحت عنوان: "كتاب التفسير"، كما نجد في الصحيحين وغيرهما.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ"[130] ، حدث بهذا عمر ﷺ لما أُخبِر أن مولًى وُلّي خليفة على أهل منطقة بمكة، وقد كان عالمًا بالقرآن وبالفرائض، لذا كان همّ الصحابة منصرفًا إلى تعلم شيئين اثنين أولهما: معرفة كيفية أداء القراءة وتلاوتها، وثانيهما: معرفة معاني

القرآني وما المقصود منها، فقوله - تعالى- : ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[131] يشمل الأمرين معًا.

فقد كان الصحابة لا يتجاوزون العشر آيات حتى يتعلموا تلاوتها، ويتعلموا معناها، ثم يعملوا بها، ثم يتجاوزونها إلى عشر أخرى رضي الله عنهم، ذلك أن القرآن يتضمن الحقيقة المطلقة عن الكون وخالقه، ويحمل الإنسان مسؤولية الخلافة التي تحتاج إلى التزكية الروحية والعقلية والجسمية، وهو ما يحتاج إلى العلم عن الله ورسوله بالمنهج النبوي في التزكية الذي وضحت بعض معالمه فيما سبق.

ولتحصل التزكية بالقرآن في عصرنا الحاضر؛ لا بد من النظر في المشاريع التي دعا إليها بعض المعاصرين، يأتي في مقدمتهم فريد الأنصاري الذي دعا إلى إحياء مجالس للقرآن اليوم يكون هدفها مدارسة القرآن، وفق منهجية تتكون من ثلاث خطوات؛ الأولى: تلاوة القرآن بمنهج التلقي، وتلقي القرآن بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر، أي بحضور قلبي، والثانية: التعلم والتعليم لأحكام القرآن الكريم وحكمه، فخير العلم إنما هو العلم بالكتاب، ولا يكون تحصيل هذا العلم إلا بمنهج التدارس لآياته وسوره مبنىً ومعنىً، قال تعالى: ﴿ **وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ (آل عمران، 79)، ما يكون كفيلًا بالوصول بالدارس إلى القمة التي بمقتضاها يصير ربانيًا، والثالثة؛ التزكية بمعنى التدبر، والتزكية هي عملية التطهير للنفس، والتربية لها بما يخلصها من مراعاة غير الله تعالى، للوصول بها إلى منزلة الإخلاص (132)

كما يجب إحياء مجالس للحديث النبوي في جميع بلداننا، وفق منهج النبـــي ﷺ في التعليم؛ فإن الحديث النبوي لا ينفصل عن القرآن الكريم، ويمكن الاستفادة من الأدبيات المصنفة في هذا المجال، ومنها ما كتبه ابن عبد البر، والخطيب البغدادي، وابن جماعة، ومن الدراسات المعاصرة مثل دراسة المكي اقلاينة ، بعنوان : "النظم التعليمية عند المحدثين"، ولدينا في كتب شروح الحديث وكتب السيرة النبوية مصادر أساسية لإقامة هذه المجالس، بشرط أن يقوم بها المتخصصون في الحديث النبوي وعلومه، وإن هذه الأمة لا يصلحها آخرًا إلا ما أصلحها أولًا.

الخاتمـــة:

أحمد الله تعالى الذي أمدني بمدد من عنده لإكمال هذا البحث، وأصلي وأسلم على نبي الرحمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وفي ختام هذا البحث أشير إلى عدد من النتائج والتوصيات فيما يأتي:

أولًا- النتائـــج:

1- وظف النبي ﷺ عدة وسائل لتزكية الإنسان عقليًا، وبعض هذه الوسائل هي مقاصد شرعية كبرى، ومنهج عام في الشريعة، ذلك أن التعبد أساسه جسم سليم يقوى على العبادة، ومن ذلك حرصه على الاعتدال في العبادة، ودعوته إلى الحفاظ على صحة المكلفين، فقد أسس قاعدة مفادها أن لكل سقم دواءً، وفي ذلك إشارة نبوية إلى ضرورة إعمال العقل لاكتشاف الأدواء والأدوية، حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه جسديًا مستمدًا أصول تلك التربية من القرآن الكريم، بحيث يؤدي الجسم وظيفته التي خلق لها من دون إسراف أو تقتير.

2- من المنهج النبوي في تزكية الإنسان، توجيهه إلى استخدام عقله قصد تنمية قدرات الإنسان المستخلف في الأرض، باستعمال وسائل مختلفة من قبيل لفت انتباه الصحابة إلى ضرورة استخدام النظر العميق والفهم الدقيق لنصوص الشرع، وغير ذلك، وهو ما يشير إلى الاجتهاد في فهم الشريعة، وهو منهج نتج عنه ظهور مجتهدين في الصحابة ومدارس قام على أكتافها تبليغ الشريعة تبليغًا تامًا.

3- راعى النبي ﷺ القلوب بتطهيرها من غوائلها، وترقيتها في مدارج الإيمان، بالتركيز على وسائل مهمة، منها التزام الدعاء.

4- تنوعت مسالك التزكية عند النبي ﷺ بتنوع أصحابها، فقد علّم وأحسن، واتخذ من السؤال وسيلة مهمة لشحذ الأذهان، وتنبيه المتلقي إلى ما به يتزكى، مع الثناء على المتعلم وتشجيعه، والرفق به، والتيسير، ما أسهم في نقل العلم الشرعي ومنهج التعليم إلى الأجيال التالية، فهو قدوة للمربين والدعاة.

5- بنى النبي ﷺ تزكيته لأصحابه على عدد من الأسس؛ منها تعليم العقيدة الصحيحة، صياغة التفكير السليم، وبناء الخلق القويم، وتشريع النظم التي يقوم عليها الإسلام، إلا أن أهم ما امتاز به تشريع النبي ﷺ ومنهجه في تزكية الإنسان وبناء صورته بناءً صحيحًا هو التوسط في التدين والاعتدال. وهو منهج شمولي، يحيط بجميع أبعاد حياة

الإنسان باعتباره وحدة يتلاحم فيها الجسد والعقل والروح، والقول والفعل والنية، ويوازن بين متطلبات الروح والجسد.

6- سلك النبي ﷺ لتبليغ القرآن إلى الأمة وتزكيتها به عدة وسائل، فقد خصص بعض السور والآيات بالاهتمام، ووجه الصحابة إلى تعلم القرآن وتعليمه، وسماعه وتلاوته، فأدى - عليه الصلاة والسلام - مهمة التزكية لأصحابه التي أناطها بها الشارع – سبحانه وتعالى -.

7- منهجُ النبـــي ﷺ شامل لصالح الإنسان يرتبط بالواقع، ويعالج مشكلات التربية، ويحيط بجميع أبعاد حياة الإنسان باعتباره وحدة يتلاحم فيها الجسد والعقل والروح، والقول والفعل والنية، والظاهر والباطن من ميلاد الإنسان إلى وفاته.

8- يتعهد المنهج النبوي الإنسان برعايته فردًا، وأسرةً، ومجتمعًا، وأمة فيما بينها، لِيُلبي جميع حاجات الإنسان، بربط العقيدة والشريعة والأخلاق في كلٍّ منسجم، ووحدة متلاحمة، تؤتي أكلها على صعيد التكوين النفسي والبناء التربوي الشامل للإنسان المسلم.

9- يتضمن القرآن الحقيقة المطلقة عن الكون وخالقه، ويحمل الإنسان مسؤولية الخلافة التي تحتاج إلى التزكية الروحية والعقلية والجسمية، وهو ما يحتاج إلى العلم عن الله ورسوله بالمنهج النبوي في التزكية.

10- لتحصل التزكية بالقرآن؛ لا بد من إحياء مجالس للقرآن اليوم يكون هدفها مدارسة القرآن، وفق منهجية تتكون من ثلاث خطوات؛ الأولى: تلاوة القرآن بمنهج التلقي، وتلقي القرآن بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر، أي بحضور قلبي، والثانية: التعلم والتعليم لأحكام القرآن الكريم وحكمه، فخير العلم إنما هو العلم بالكتاب، ولا يكون تحصيل هذا العلم إلا بمنهج التدارس لآياته وسوره مبنىً ومعنىً، والثالثة: التزكية بمعنى التدبر، والتزكية هي عملية التطهير للنفس، والتربية لها بما يخلصها من مراعاة غير الله تعالى، للوصول بها إلى منزلة الإخلاص.

ثانيًا- التّوصيات:

1- دراســـة منهج النبي- ﷺ - بتفصيل في مجالات: التعليم والدّعـــوة والفتوى والقضاء، والســـعي إلى تطبيقه، لأنه المنهج الرباني التطبيقي الوحيد الذي يصلح الإنسان بشكل شمولي.

2- تحقيق المنهج الشمولي في برامج التعليـــم وغيرها.

3ـ إحياء مجالس للقرآن ومجالس للحديث النبوي وفق ما كتبه العلماء بهذا الخصوص.
والله الموفق للصواب، والهادي إلى سواء السبيل.

الهوامـــــــــــش:

ـ القـرآن الكريم برواية حفص عـن عاصم.

1ـ مجلة الجامعة الإسلامية، الجامعة الإسلامية، غزة: مج:13، ع:2، ص:261-299، يونيو، 2005م.

[2]- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، 1399هـ /1979م، ج2، ص:765، 2/ 765.

[3]- الكهف، 81.

[4]- ينظر: الآيات المصرحة بمقاصد النبوة: "التزكية"، صالح، لبيب محمد جبران، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، ع: 10، 1437هـ. ص:103، ومقاصد الشريعة بأبعاد جديدة: عبد المجيد النجار، ص: 123.

[5]- أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، 541/1، حديث رقم:785.

[6]- أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب أبواب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، 387/1، حديث رقم: 1102.

[7]- أخرجه ابن ماجه في سننه، 147/1، حديث رقم: 425، وأحمد في المسند، 636/11، حديث رقم: 7065، وهو ضعيف ومعناه صحيح.

[8]- أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، 2151/5، حديث رقم: 5354، من رواية أبي هريرة ﷺ.

[9]- أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: الطب، باب: الرقى بالقرآن والمعوذات، 2165/5، حديث رقم: 5403.

[10]- أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: الطب، باب: الرقى بفاتحة الكتاب، 2166/5، حديث رقم: 5404.

[11]- الأعراف: 32.

[12]- أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: الحيض، باب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، 116/1، حديث رقم: 298.

[13]- البقرة، 282.

[14]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: الألوسي؛ شهاب الدين السيد محمود أبو الفضل، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت. 58/3.

[15]- في ظلال القرآن، سيد قطب، القاهرة: دار الشروق، د.ت.، 336/1.

[16]أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها، 323/1، حديث رقم: 432.
[17]المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، 155/4.
[18] أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، 46/1، حديث رقم: 17.
[19]المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: النووي، 189/1.
[20] أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: الوضوء، باب: صب النبي ﷺ وضوءه على المغمى عليه، 82/1، حديث رقم: 191.
[21]فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر، 301/1.
[22] أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب: الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنى ﷺ، 1321/3، حديث رقم: 1695.
[23] صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414ه/1993م. أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: المريض وما يتعلق به، 384/7، حديث رقم: 3115.
[24] أخرجه الترمذي في: الجامع الصحيح، كتاب: الفتن، باب: رفع الأمانة، 474/4، حديث رقم: 2179، وقال: حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في: السنن، كتاب: الفتن، باب: ذهاب القرآن والعلم، 1346/2، حديث رقم: 4053.
[25]- أخرجه أحمد في: المسند، 442/29، حديث رقم: 17920، وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ /1990م.، كتاب: العلم، باب: هذا أوان يختلس العلم من الناس، 180/1، حديث رقم: 339، من طريق أحمد، وصححه قائلًا: "قد ثبت الحديث بلا ريب فيه برواية زياد بن لبيد بمثل هذا الإسناد الواضح".
[26]أخرجه أحمد في: المسند، 450/35، حديث رقم: 21570، وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.
[27]الكهف، 7.
[28]الأنبياء، 35.
29- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ ، ج 1، ص:301 ، 274/11.
[30]الأعراف، 179.
[31] - أخرجه أحمد في: المسند، 225/4، حديث رقم: 2397، من رواية: ابن عباس ﷺ، وقوّى إسناده شعيب الأرنؤوط على شرط مسلم في تحقيقه للمسند.
[32]- أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلًا﴾، 1224/3، حديث رقم: 3175، ومسلم في: صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل يوسف عليه السلام، 1846/4، حديث رقم: 2878، برواية أبي هريرة ﷺ.
[33]- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة: عبد المجيد النجار، ص: 128.
[34] - أخرجه أحمد في: المسند، 545/36، حديث رقم: 22211، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.
[35]- أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: إذا عرض بنفي الولد، 2032/5، حديث رقم: 4999، ومسلم في صحيحه، كتاب: اللعان، باب منه، 1137/2، حديث رقم: 1500، من رواية أبي هريرة ﷺ.
[36]- أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، 2088/4، حديث رقم: 2728، من رواية أنس بن مالك ﷺ.

[37]- أخرجه أحمد في: المسند، 357/14، حديث رقم: 8744، وصححه شعيب الأرنؤوط على شرط الشيخين في تحقيقه للمسند.
[38]- أخرجه الترمذي في: الجامع الصحيح، كتاب: المناقب، باب: في كلام النبي ﷺ، 600/5، حديث رقم: 3640، وقال: حسن صحيح غريب.
[39]- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه، 8/1، حديث رقم: 95.
[40]- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، 1321/3، ح رقم: 3414، وأخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، 741/2، ح رقم: 1064، ولعل الذين يدعون اليوم إلى التسوية بين الرجال والنساء في الميراث وغيره، ينحون في الفهم منحى الخوارج الذين يقفون عند الظواهر، دون أن يفهموا المعاني والمقاصد، إذا سلمت نياتهم، وكانوا يدينون بدين الإسلام، وهو أمر بعيد.
[41]- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: الطلاق، باب: إذا عرض بنفي الولد، ح رقم: 4999، 2032/5، وأخرجه مسلم في الجامع الصحيح، كتاب: اللعان، باب منه، حديث رقم: 1500، 1137/2.
[42]- الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: دار إحياء التراث العربي، د.ت. أخرجه مالك بن أنس في : الموطأ، كتاب: الطهارة، باب: غسل المرأة إذا رأت في المنام مثل ما يرى الرجل، حديث رقم: 115، 51/1، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الحيض، باب: وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، حديث رقم: 311، 249/1.
[43]- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: النكاح، باب: حكم العزل، حديث رقم: 1438، 1061/2.
[44] ينظر: العقل في السنة النبوية: دراسة تحليلية تربوية، رضوان، إسماعيل سعيد، والحولي، عليان عبد الله، غزة: الجامعة الإسلامية، مجلة الجامعة الإسلامية، يونيو، 2005م . منشور على موقـع:https://journals.iugaza.edu.ps مج13،ع2، ص:283-284.
[45] المنهج النبوي في تربية الأمـــة : علي جمعة، http://rassoulallah.com.
[46] الشمس، 9.
[47]- الشمس، 10.
[48]- إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، بيروت: دار المعرفة، د.ت ، 49/3.
[49]- أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب : الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث رقم: 2728، 2088/4، من رواية أنس بن مالك ﷺ.
[50]- أخرجه الترمذي في: الجامع الصحيح، كتاب: الدعوات، باب منه، حديث رقم: 3392، 467/5، وقال: حسن صحيح.
[51]- السنن الكبرى، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة، د.ت. أخرجه البيهقي في: السنن الكبرى، حديث رقم: 7525، 95/4، من رواية: عبد الله بن معاوية الغاضري، وهو صحيح المعنى.
[52]- أخرجه أبو داود، سليمان بن الأشعث في السنن، كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، حديث رقم: 5092، 484/4، من رواية نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي ﷺ، وهو حسن.
[53]- مقاصد الشريعة: محمد الطاهر ابن عاشور، ص:221.
[54]- الجامع الصحيح: البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، 1407هـ/1987م. أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذا خليلًا"، حديث رقم: 3465، 1340/3.
[55]- أخرجه البخاري في: لجامع الصحيح، كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ، حديث رقم: 6257، 2445/6.

[56] أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: مناقب أبي ذر ﷺ، حديث رقم: 3802، 669/5، وقال: حسن غريب، والسنن: ابن ماجه، أبواب السنة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب فضل أبي ذر، حديث رقم: 156، 55/1، وأخرجه أحمد في: المسند، حديث رقم: 6630، 206/11، وحسّنه لغيره شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

[57] أخرجه البخاري في: لجامع الصحيح: كتاب: الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، حديث رقم: 30، 20/1.

[58] . الموافقات في أصول الفقه: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، بيروت: دار المعرفة، د.ت. 77/2.

[59] . إحياء علوم الدين: الغزالي، 49/3.

[60] . الجامع الصحيح، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم 820، 561/1.

[61]. المنهاج شرح صحيح مسلم: النووي، 102/6.

[62]. أخرجه أحمد في: المسند، حديث رقم: 1282، 422/2، وحسّنه لغيره شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

[63]- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، حديث رقم: 468، 341/1.

[64] المنهاج شرح صحيح مسلم: النووي، 185/4-186.

65- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل، حديث رقم:11، 13/1، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، حديث رقم: 42، 66/1، من رواية أبي هريرة ﷺ.

66- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، أبواب: التهجد، باب: فضل الطهور بالليل والنهار، حديث رقم: 1098، 386/1، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل بلال ﷺ، حديث رقم: 2458، 1910/4، من رواية أبي هريرة ﷺ.

67- النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون - تونس، دار السلام - مصر، ط: 1، 1428هـ/1407م. ، ص: 27.

68- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم: 5653، 2235/5.

[69]- الموافقات: الشاطبي، 98/4.

70- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، حديث رقم: 504، 197/1، من رواية عبد الله بن مسعود ﷺ.

71- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، حديث رقم: 26، 18/1، من رواية أبي هريرة ﷺ.

72- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل، حديث رقم: 11، 13/1، وأخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، حديث رقم: 42، 66/1، من رواية أبي موسى الأشعري ﷺ.

73- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، حديث رقم12، 13/1، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، حديث رقم:39، 65/1، من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

74- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل إزالة الأذى عن الطريق، حديث رقم:2618، 2021/4، من رواية نضلة بن عبيد أبي برزة الأسلمي ﷺ.

75- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم:1825، 1457/3، من رواية أبي ذر الغفاري ﷺ.
76- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت. أخرجه أبو داود في: السنن، كتاب: الصلاة، باب: أخذ الأجر على التأذين، حديث رقم:531، 201/1، وسنن النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، 1406ه/1986م.وأخرجه النسائي في: السنن، كتاب: الأذان، باب: اتخاذ المؤذن الذي لا يأخذ على أذانه أجرًا، حديث رقم: 672، 23/2، من رواية عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي ﷺ، والحديث صحيح، ينظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، الإثيوبي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الولوي. مكة: دار آل بروم للنشر والتوزيع، 1424هـ/ 2003م ، 271/8.
77- الموافقات: الشاطبي، 100/4.
78- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: الأيمان والنذور، باب: قول الله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ (الأنعام:109)، حديث رقم: 6281، 2452/6، من رواية حارثة بن وهب الخزاعي ﷺ.
79- ينظر: مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم: عبد الرحمن عبد الحميد أحمد البر، مصر: دار اليقين للنشر والتوزيع، 1420هـ /1999م، ص: 67-68.
80- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم: 2581، 1997/4، من رواية أبي هريرة ﷺ.
81. أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث رقم:810، 556/1، من رواية: أُبي بن كعب ﷺ.
82. فتح الباري: ابن حجر، 159/1، وينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، 39/2.
83- الأساليب التربوية والوسائل التعليمية في القرآن الكريم، شاهر ذيب أبو شريخ، عمان: دار جرير للنشر والتوزيع، 1425هـــ /2005م.، ص:113.
84- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، حديث رقم:537، 381/1، من رواية: معاوية ابن الحكم السلمي ﷺ.
85- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ: **"يســـروا ولا تعسروا"**، حديث رقم: 5776، 2269/5، من رواية أبي برزة الأسلمي ﷺ.
86- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـــ ، 20/5.
87- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، حديث رقم:3374، 3374/3، وأخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الزهد والرقائق، باب: التثبت في الحديث، حديث رقم: 2493، 2298/4، من رواية عائشة رضي الله عنها.
88- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم: أبو العباس القرطبي، 436/6.
89- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، حديث رقم: 3375، 1307/3، وأخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ، حديث رقم: 2493، 1940/4، من رواية عائشة رضي الله عنها. وينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، 1426ه/-2005م. 535/4.
90- فتح الباري: ابن حجر، 578/6.
91 أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه، حديث رقم: 94، 48/1.

92- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، حديث رقم: 66، 36/1، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: السلام، باب: من أتى مجلسًا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم، حديث رقم: 2176، 1713/4، من رواية أبي واقد الليثي ﷺ.

93 - أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: العلم، باب: من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة، حديث رقم: 70، 39/1، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الاقتصاد في الموعظة، حديث رقم: 2821، 2172/4، من رواية عبد الله ابن مسعود ﷺ.

94 - أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الزهد والرقائق، باب منه، حديث رقم: 2957، 2272/4، من رواية: جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ، والجدي الأسكّ هو المقطوع الأذنين.

95 - أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: من شكا إمامه إذا طول، حديث رقم: 673، 249/1، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الصلاة، باب: القراءة في العشاء، حديث رقم: 465، 339/1، من رواية: جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ.

96- فتح الباري: ابن حجر، 195/2.

97- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، حديث رقم: 1333، 506/2، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، حديث رقم: 14، 44/1، من رواية أبي هريرة ﷺ.

98- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: الأدب، باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولًا أو جاهلًا، حديث رقم:5757، 2265/5، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله تعالى، حديث رقم: 1646، 1266/3، من رواية عبد الله بن عمر ﷺ.

99- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب فضل صلة الرحم، حديث رقم: 5637، 2231/5، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة، حديث رقم: 13، 42/1، من رواية أبي أيوب الأنصاري ﷺ.

100 المسند، الشيباني، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1421ه/2001م. أخرجه أحمد في: المسند، 376/19، حديث رقم: 12383، من رواية أنس بن مالك ﷺ، وحسّنه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند.

101 - الذاريات: 57.

102 - أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم:2581، 1497/4، من رواية أبي هريرة ﷺ.

103 - أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: العلم، باب: قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا، حديث رقم:61، 34/1، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: مثل المؤمن مثل النخلة، حديث رقم: 2811، 2164/4، من رواية عبد الله بن عمر ﷺ.

104 - أخرجه أبو داود في: السنن، كتاب: السنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم: 4682، 632/2، والجامع الكبير: الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، بيروت: دار الفكر، د.ت.والترمذي في: الجامع الصحيح، كتاب: الفتن، باب: رفع الأمانة، حديث رقم:1162، 466/3، من رواية أبي هريرة ﷺ بهذا اللفظ، وقال: حسن صحيح، وأحمد في: المسند، حديث رقم: 24204، 242/40، وصححه لغيره شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند، والزيادة في المتن عند الترمذي بهذا اللفظ، وعند الترمذي وأحمد بلفظ: "وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ"، من رواية عائشة رضي الله عنها.

105 - أخرجه مالك بن أنس في: الموطأ، كتاب: حسن الخلق، باب: ما جاء في حسن الخلق، حديث رقم: 1609، 904/2، وقال ابن عبد البر: هذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي ﷺ، وأحمد في: المسند، حديث رقم: 8952، 512/14، بلفظ: "إنما بعثت لأتمم صالح الخلاق"، من رواية أبي هريرة ﷺ، وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند. وينظـــر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني

والأسانيد، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، النمري. تحقيق: مصطفى ابن أحمد العلوي، وآخر، الرباط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ ، 333/24.

[106]- الموافقات: الشاطبي، 77/2.

[107] - آل عمران: 144.

[108] - مقاصد الشريعة، ابن عاشور، محمد الطاهر، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، الأردن: دار النفائس، 1421هـ/2001م ، ص:212.

[109] - أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، حديث رقم:4776، 1949/5، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، حديث رقم:1401، 1020/2، من رواية أنس بن مالك ﷺ، وينظر: مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة: عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: 2، 2008م، ص: 68.

[110] - النازعات: 18.

[111]- الجمعة: 2.

[112]- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث رقم:804، 553/1، من رواية أبي أمامة الباهلي ﷺ.

[113]- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، حديث رقم: 811، 556/1، برواية عويمر ابن مالك أبي الدرداء ﷺ، وأخرجه البخاري بلفظ آخر: كتاب فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد، حديث رقم: 4727، 1916/4، من رواية أبي سعيد الخدري ﷺ.

[114]- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم: 4739، 1904/4، من رواية عثمان بن عفان ﷺ.

[115]- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، حديث رقم: 803، 522/1، من رواية عقبة بن عامر بن عبس الجهني ﷺ.

[116]- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، تحقيق: يوسف علي بديوي وآخرين، دمشق - بيروت: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، 1417هـ /1996م.، 429/2-430.

[117]- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم: 872، 572/2، من رواية أم هشام بنت حارثة بن النعمان الأنصارية رضي الله عنها.

[118]- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، حديث رقم: 772، 536/1.

[119]- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم: القرطبي، 405/2.

[120]- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، حديث رقم: 575، 405/1.

[121]- ينظر: ذخيرة العقبى، للإثيوبي، 623/12و628.

[122]- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم: 4714، 1912/4، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن مسعود، حديث رقم: 2462، 1912/4، من رواية عبد الله بن مسعود ﷺ.

[123]- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر، د.ت. أخرجه ابن ماجه في: السنن، كتاب: الفتن، باب: ذهاب القرآن والعلم، حديث رقم: 138، 49/1، وأخرجه أحمد في: المسند، حديث رقم: 35، 211/1، من رواية عبد الله بن مسعود ﷺ، وهو صحيح.

[124]- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل القرآن، باب: إثم من راءى بقراءة القرآن، حديث رقم: 4772، 1928/4، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن، حديث رقم:797، 549/1، من رواية أبي موسى الأشعري ﷺ.

[125]- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل القرآن، باب: من أحب أن يسمع القرآن من غيره، حديث رقم:4762، 1925/4، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، حديث رقم: 800، 551/1، من رواية عبد الله بن مسعود ﷺ.

[126]- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب أبي بن كعب، حديث رقم: 3597، 1385/3، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن مسعود، حديث رقم: 2464، 1913/4، من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

[127]- أخرجه البخاري في: الجامع الصحيح، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب أبي بن كعب، حديث رقم: 3598، 1385/3، ومسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه، حديث رقم: 799، 550/1، من رواية أنس بن مالك ﷺ.

[128]- الأنعام، 19.

[129] الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دمشق-بيروت: دار قتيبة، وحلب- القاهرة: دار الوعي، 1414ه/1993م ، 91/8.

[130]- أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، حديث رقم: 817، 559/1.

[131]- النحل، 44.

[132]- ينظر: مجالس القرآن: فريد الأنصاري، القاهرة: دار السلام، 1431هـ /2010م.، ص: 64-75.